الأهرام

المصدر :

التاريخ :

طريق «غزة ـ اريحا» مدمر والمقصود به منع الفلسطينيين من المرور بالقدس

مخطط اسرائيل لاغتيال الحكم الذاتي

بقلم فهمي هويدي

تشييد المساكن مستمر في القدس الكبرى وحكومة رابين اعتمدت ٢٢٠ مليون دولار لتطوير المستوطنات

صحيح ان الكلام عن المستقبل الفلسطيني مؤجل الى ما بعد ثلاث او خمس سنوات مقبلة طبقا لاتفاق اعلان المبادىء، لكن الاصح ان ذلك المستقبل يصنع الآن، تحت اعين الجميع، في طول الارض المحتلة وعرضها بذات القدر فليس صحيحا ان خيارات ذلك المستقبل مجهولة بالكلية الا من زاوية الحقوق العربية، لانها من الزاوية الاسرائيلية تكاد تكون واضحة ومحسومة من الآن.

قبل حين نشرت صحيفة «الاندبندنت» البريطانية عدد ٩٣/٩/٦، تقريرا عن طريق جديد يشق في الوقت الراهن لوصل شمال الضفة الغربية بجنوبها. وذكر مراسلها «روبرت فيسك» انه الطريق الذي يفترض ان يسلكه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اذا ما اراد ان يتوجه من مقره في اريحا الى قطاع غزة، وهو ذاته الذي سيستخدمه الفلسطينيون من رام الله ونابلس وجنين في الشمال، اذا ما ارادوا ان يتجهوا الى الخليل في الجنوب.

لكن الامر ليس بهذه البراءة في الواقع، لان شق الطريق على الصورة التي تم بها له هدف سياسي خبيث، بل «مدمر» على حد تعبير روبرت فيسك، فالمقصود به منع الفلسطينيين من المرور بالقدس، ومن ثم عزلهم تماما عن المدينة التي تصر اسرائيل على اعتبارها «عاصمة ابدية» وهي خطوة ليست بعيدة عن تصورات المستقبل حيث تتمسك اسرائيل بأن القدس خارج المناقشة في اية تسوية سياسية محتملة، وتمهيدا لذلك فانها بعد انشاء الطريق الجديد تضعها خارج المحيط الفلسطيني. ناهيك عن الاجراءات الاخرى التي تستهدف تهويدها، والتي سنتحدث عنها تو

في ظل الترتيب الموضوع، فان الرئيس الفلسطيني سيفرض عليه ان يسلك ذلك الطريق في ذهابه الى غزة، ولن يسمح له بأن يمر بالقدس، وطبقا لما ذكر تقرير «الاندبندنت» فان اسرائيل وافقت في المفاوضات على طلب منظمة التحرير بالسماح لعرفات بان يقود سيارته من اريحا الى غزة، وكان الظن ان تلك الرحلة ستمكنه من الالتقاء بالشعب الفلسطيني على طول الطريق الاصلي الممتد بطول ١٥٠ كيلومترا، غير ان المخطط الاسرائيلي نسف الفكرة تماما بذلك الطريق الجديد الذي يجري انشاؤه، فلم يصمم فقط بحيث يلتوي مبتعدا عن القدس، وانما أريد له ايضا ان يلتوي مرة ثانية، بحيث لا يمر بالقرى والمناطق العربية لذلك فان عرفات سيفاجأ بان الكيلومترات العشرة الاولى من رحلته سيقطعها وسط اراض يهودية بالكامل، فضلا عن انه سينتهي عند مستعمرة يهودية!

لذلك السبب فقد نقل مندوب الصحيفة البريطانية عن احد الفلسطينيين قوله: انه طريق يبدو قبيحا، على نفس درجة قبح الهدف الذي انشىء من اجله!

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ما وراء القدس الكبرى

فيما تسلخ القدس من محيطها العربي، فانهم يعملون جاهدين لتغيير هويتها وجلدها، وها هي «القدس الكبرى» تتشكل الان على الارض، لكي تتحول الى حقيقة تتحدى اي جدل يمكن ان يثار حولها بعد السنوات الثلاث او الخمس المرتقبة

في السابع عشر من شهر يوليو (تموز) الماضي، بثت وكالة «رويتر» تقريرا من القدس المحتلة قالت فيه ان اسرائيل وهي تناقش مستقبل الاراضي المحتلة في محادثات السلام، تمضي قدما في بناء «القدس الكبرى» التي ستبتلع رقعة كبيرة من الضفة الغربية. ولم تعلن الحكومة الاسرائيلية حدود المدينة الكبرى. ولكن اسحاق رابين رئيس الوزراء اعلن مرارا عن عزم حكومته على اقامة تجمعات سكانية في مناطق جديدة بالقدس، لكي تتحول الى «عاصمة مزدهرة». واضاف ان السنوات المقبلة ستشهد توسعات عمرانية تستهدف تحقيق الامل المنشود في اقامة «القدس الكبرى».

كيف ستبدو المدينة حينئذ؟

رد تقرير وكالة رويتر بما يلي: شمالا حددت اسرائيل حدود القدس الى مشارف مدينة رام الله العربية الرئيسية، بمجرد استيلائها على المنطقة في حرب ١٩٦٧ ثم ضمت القدس العربية الشرقية

في الجنوب وصف رابين ١٦ مستوطنة في تجمع يحمل اسم «غوش اتزيون» بانها جزء من القدس الكبرى واستثنى المنطقة من قيود اقترحت على المستوطنات اليهودية في اماكن اخرى في الاراضي المحتلة

في الشرق زار رابين «معاليه ادوميم» اكبر مستوطنة يهودية في الضفة الغربية المحتلة، وقال لسكانها وعددهم ٢٠ الفا إنهم سيظلون دائما تحت الحكم الاسرائيلي

بشكل عام فان تشييد المساكن مستمر على جميع الجبهات حيث تعد الجرافات مواقع للبناء، حتى قبل الانتهاء من العمل في مواقع اخرى

ويجري الان بناء طريق سريع بانفاق وجسور علوية ليساعد سكان «غوش اتزيون» على الوصول بسرعة الى القدس دون المرور بمدن عربية

كما خصصت اسرائيل بالفعل ارضا كافية لتمديد «معاليه ادوميم» في المستقبل، ويمكن ملاحظة حجم القدس الكبرى بالتعرف على مساحة «معاليه ادوميم» التي حصلت على ٥٠ كيلومترا مربعا من الضفة الغربية اي اكبر من نصف جزيرة مانهاتن في نيويورك

ونقل عن بيني كاشريل رئيس بلدية المستوطنة قوله «انهم أرادوا وضع شيء ما بين الاردن والقدس ونجحوا».

اضاف تقرير وكالة «رويتر» ان مجمعات سكنية يهودية تشبه القلاع، اقيمت على المرتفعات المطلة على القدس، وقد اسهم وجودها في حصار الاحياء العربية بالمدينة، حتى لم يعد من الممكن توسيعها

كانت النتيجة ان ١٥٥ الف فلسطيني من سكان القدس وجدوا انفسهم محاطين باكثر من ٣٨٠ الف يهودي، وفي ظل الحكم الاسرائيلي ظلت النسبة السكانية العربية باقية عند ٢٨٪ برغم معدلات الانجاب المرتفعة للفلسطينيين، وهو مايعني ان معدلات الاستيطان تكفلت باستمرار بقاء الفلسطينيين كاقلية في المدينة

خلاصة المشهد الاستيطاني في القدس تمثل الان فيمايلي: منذ ضمت اسرائيل القدس اليها بعد احتلال عام ١٩٦٧، ورفضت ادخالها في مناطق الحكم الذاتي، فان حكومة تل ابيب عمدت الى توسيع حدود القدس على حساب مدن وأقضية الضفة الغربية، من ٣٨ الف دونم الى ١١٠ الاف دونم، في الوقت ذاته فقد نمت احاطتها بتسع وثلاثين مستوطنة. وفي ظل القدس الكبرى، فان المدينة تصبح مهيمنة على مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، والقرى المحيطة بها وبهذه الطريقة يمكن اجراء فصل كامل بين شمال الضفة وجنوبها

بعدما اختفى الخط الاخضر

ما جرى في القدس سرى على الضفة الغربية حيث ظل الهدف الجوهري هو تغيير الخرائط على الارض، وهو حدث لم يختلف عليه احد. فتكتل «الليكود» سعى الى تغيير تلك الخرائط عبر اقامة سلسلة المستوطنات متذرعا باسباب دينية «توراتية» اما حزب العمل فقد استمر على ذات الطريق، وان تذرع باسباب «امنية». (لاحظ ان حكومة رابين اعتمدت مبلغ ٢٢٠ مليون دولار في ميزانية عام ١٩٩٣ الحالي، لتطوير المستوطنات).

والامر كذلك، فقد اصبح المشهد الاستيطاني في الضفة الغربية وغزة كما يلي:

في عموم الضفة اوجد الاسرائيليون من خلال المستوطنات خطوطا عازلة على الحدود مع الاردن، وممرا اجباريا استيطانيا امام المواطن الفلسطيني الراغب في الانتقال من موقع فلسطيني الى موقع اخر، وذلك وفق نظام «الاحزمة والبور». والكتل الاستيطانية التي تبدأ من بؤرة ثم تتمدد باتجاه تحقيق التواصل الجغرافي مع المستوطنات الاخرى، وعلى حساب اراضي الفلسطينيين في الضفة واخيرا الشوارع الاستيطانية التي اكتسحت مساحات واسعة من الاراضي، واستكمل الاسرائيليون من خلالها عمليات تطويق التجمعات الفلسطينية وايجاد كتل متصلة من المستوطنات العسكرية والمدنية والمدن الاستيطانية

وترتكز استراتيجية التطويق، على اقامة طوق محكم من المستوطنات حول المركز السكاني الفلسطيني، ومن نقاط الطوق، هذه تجري عملية التمدد باتجاه نقاط تطويق اخرى بحيث ينتج عن ذلك تقطيع الوحدة الجغرافية للمدن والاقضية، وعزل التجمعات الصغيرة وسط بحر من المستوطنات. فمنطقة بيت لحم مثلا تقطعها ست عشرة مستوطنة تتركز اربع منها حول المدينة فيما تتولى الاخرى الوصل الجغرافي بين مستوطنات بيت لحم ومستوطنات القدس بينما تقوم ثلاثون مستوطنة بذات المهمة في رام الله والبيرة

في منطقة الخليل توجد ٣٢ مستوطنة يمتد بعضها من داخل المدينة الى محيطها وفي القضاء التابع لها. وتتمركز المستوطنات داخل المدينة على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

نحو يجعل من احيائها جزرا معزولة بواسطة البؤر الاستيطانية اما مستوطنات منطقة طولكوم الاثنتا عشرة فهي مصممة لتحيط بالتجمعات الفلسطينية كما يحيط السوار بالمعصم، فيما لم تحد وعورة منطقة شمال الضفة من النشاط الاستيطاني فيها وتقوم المستوطنات في هذه المنطقة بأحداث وصل استيطاني مع المستوطنات المقامة على الحدود الفاصلة بين الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧، والاراضي المحتلة عام ١٩٤٨، الامر الذي يعني انها باتت في حكم المضمومة نهائيا الى اسرائيل واقام الاسرائيليون خطا من المستوطنات يمتد من الساحل باتجاه الاغوار وعبر جبال نابلس وتحتل المستوطنات هنا نقاطا استراتيجية وتتحكم بمفترقات الطرق وفي منطقة مثل قلقيلية تولت المستوطنات ازالة ما يعرف بالخط الاخضر تماما حيث اقيمت اجزاء من المستوطنات في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ واخرى داخل اسرائيل.

اما قطاع غزة الذي تأخرت فيه النشاطات الاستيطانية لبعض الوقت بحكم ضيق مساحته والكثافة السكانية العالية فيه، فانه عند بدء النشاط الاستيطاني اقام الاسرائيليون ثلاث مستوطنات جعلت الوضع في القطاع عبارة عن ثلاث كتل رئيسية معزولة عن بعضها بواسطة حواجز اوتاد، من المستوطنات الصغيرة البالغ عددها نحو ٢٥ مستوطنة.

الدلالة الاولى التي يمكن استخلاصها من استعراض المشهد الاستيطاني الراهن في الضفة الغربية وغزة هي ان الوحدة الجغرافية للاراضي المحتلة جرى تشويهها بشكل جسيم يتعذر علاجه

لقد ادى قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ الى خلق ثلاث وحدات جغرافية كبيرة في حدود فلسطين الانتدابية تقوم على الوحدة الاولى دولة اسرائيل وفي الثانية الضفة الغربية وفي الثالثة قطاع غزة ومع احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧، ابقت اسرائيل على وحدة الوحدات الجغرافية الثلاث منفصلة ظاهريا فيما شرعت وبواسطة عمليات الاستيطان والمصادرة بضم اجزاء لها من الضفة الغربية «القدس» والى تفتيت عملي للضفة وغزة يمنع قيام دولة فلسطينية ما دامت المستوطنات موجودة

وفي كل مشاريعهم الاخرى ينطلق الاسرائيليون من الواقع الجديد الذي احدثوه عبر الاستيطان ويقسم شمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلي الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ الى ثلاثة انواع: اراضي دولة، الاراضي التي تفصل بين المستوطنات والبلدان العربية، والمستوطنات، وفحوى التقسيم ان المستوطنات واراضي الدولة ستتكون من حق اسرائيل اما الاراضي الفاصلة فلها ادارة مشتركة وفي البلدان العربية يقوم الحكم الذاتي!

بكلمات اخرى فان الحكم الذاتي حسب المفهوم الاسرائيلي لا يحمل اي شكل من مقومات السيادة على الارض وهو لن يمهد كما يعتقد البعض لاقامة هذه السيادة من خلال دولة فلسطينية في مرحلة التسوية النهائية، بل ان الاسرائيليين يعملون حثيثا لابتلاع ما تبقى من ارض وجغرافية الحكم الذاتي لا تعني لهم اكثر من تلك البقع المعزولة والمسكونة من العرب في محيط استيطاني واسع الامر الذي يجعل اي حديث عن دولة فلسطينية ذات سيادة في المستقبل هو من قبيل الامنيات التي يحتاج تحقيقها الى معجزات!

الخلاصة انه باختفاء الخط الاخضر طمست حدود عام ١٩٦٧ ولم تعد الضفة الغربية التي نراها في الخرائط والصور هي ذات الضفة الكائنة على ارض الواقع، اكلها الاسرائيليون، كما يقول الفلسطينيون واحالوها الى ثلاث مناطق معزولة تتمثل في نابلس ورام الله والخليل تفصل بينها المراكز الاستيطانية في اريئيل والقدس ومجمع عيتسيون، وكما فعلت مستوطنات القدس حين شطرت الضفة الغربية الى قسمين شمالي وجنوبي، كذلك تفعل مستوطنة اريئيل الواقعة على بعد ٤٠ كلم شمال القدس، والتي تقف سدا بين منطقتي نابلس ورام الله

الفلسطينيون: سكان عابرون

ان اتفاق اعلان المبادىء لا يشير من قريب او بعيد الى اقرار الجانب الاسرائيلي بالانسحاب من المناطق المحتلة، بل ان الاسرائيليين لا يعتبرون انفسهم محتلين للضفة والقطاع، وهم يصفونها بالاراضي «THE TERRITORIES» وكانما لا هوية لها ولا صاحب، والسبب في ذلك معروف فهي عندهم ـ الضفة خاصة ـ جزء من «ارتز» ـ ارض ـ اسرائيل، ومن ثم فالانسحاب ـ اذا قدر له ان يتم فسيكون بمثابة اخلاء اسرائيل لحساب الطرف الفلسطيني، الذي سيديرها بالوكالة عنه لفترة تجريبية بعدها يقرر الجانب الاسرائيلي ما اذا كان يتركها على حالها، ام ينتزعها مجددا! وفي كل الاحوال فالفلسطينيون معتبرون في سياستهم وعقيدتهم مجرد سكان للارض او عابرين، وليسوا ملاكا لها بحال!

لقد تتابعت الاوامر العسكرية في الاعوام ٦٧ ٦٨ ٧٤، التي مكنت الحكومة الاسرائيلية من اعادة تسجيل الاراضي الفلسطينية لتصبح موزعة بين ملكية الدولة وملكية «الصندوق القومي اليهودي» (بالمناسبة فان ٥ ٩٢٪ من اراضي فلسطين عام ١٩٤٨ اصبحت مسجلة لصالح هذين الطرفين). من ناحية ثانية، فمنذ العام ١٩٧٨ اصبحت مياه الضفة الغربية تخضع للسيطرة الاسرائيلية، حيث صدر قانون يمنح شركة المياه الاسرائيلية «ميكوروت» حق التحكم بمياه الضفة، وقد تزايد اعتماد اسرائيل على مياه الضفة حتى يذهب بعض الخبراء الى القول بان ٧٠٠ مليون متر مكعب من مياه الضفة يضخ الى اسرائيل، الامر الذي يعني ان نصف الاستهلاك المائي في اسرائيل يأتي في الاراضي المحتلة

ان معطيات الواقع الراهن لا تفسح مجالا للتفاؤل بمستقبل الحكم الذاتي الذي تتضافر مختلف الشواهد على اعتباره املا يدغدغ مشاعر الكثيرين بينما تقيم اسرائيل على الارض واقعا جديدا يغتال الامل ويحول دون تحقيقه، اذا لم تحدث معجزة من السماء.

وللاسف ان ذلك يطرح علينا بعدما انتهى عصر المعجزات ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية